

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وغللائها الخاصة على اثر ما كانت من نهوض المرأة لباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بمذذات الى مشاركتها في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الاعلام عنوانا بتجميعه وتجهيزه مما لقي به من خرافات الاقدمين واهابهم جارين على اسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات المائقة بآراء الاقدمين والساذلة على الحقيقة شتاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لانجد باحثاً تعدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وعواصمها المميزة فجاءت ابجاثهم مزرعة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق علماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزايم الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لاتزال تستكشف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة انت عليها سنة التشو والارتقاء فبدلتها او محبتها - ولقد مررت على المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراءى على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشد به بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

فما لت المرأة من اسرار الجود ومشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المغالين في اعتبارها ولا الفرقين في امتنانها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي؟ يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين نشوء الحياة من انهماكها وان تميزها الحياة متفرجاً في الحياة المذكورة اما اللاتوجه في معالمة شديدة للاحتياجات

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكما ارنى الجنس البشرى كانت الخواص الجنسية اوضح اثرًا فتركيب المرأة وطبائعها تقبل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلدًا على مشاق الحياة يجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المتاجرة والاقدام

وإذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تخلق المرأة باخلاقيها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم والمرأة اللطيف والصبر والمهدوء الا انها تشدد في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزمًا ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخادها وتهتد روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بمجمل الدين وهي اقل اقدامًا على الجرائم من الرجل لما تشغله من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يجعلها على الاستسلام لمواظفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الضدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في انجائهم فأت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة وبتبين لك خطا آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تابعنا ارتقاء العالم الحيواني وضعت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكلها

المرأة المحاربة — نتقدم الى البحث في إحدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونأخذ هذه الصفة اساسًا لمبحثنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والتمرد عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على اننا اذا تعمنا النظر وجدنا هذه الصفة غارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فتساءل الحبش يقانلن مع ازواجهن جنبًا الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتنلذات سلاح الرجال ولا ينقص عنهم شجاعة واقدامًا وصبرًا على المشقات ويقول الرجالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديداً القوى وقد اكتبتهن ممارسة الحروب بطشًا لا ينصف به سوى شجوان المتنازلة

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الابرطين فقد كانت نساؤهم يفتتن

الحصون ويقتلن زرافات في المحجوم

وأكد جماعة من السباح ان النساء الامازونيات القاطنات على ضفاف نهر الامازون يشاركن الرجال في القتال ويقتلن بلغم البشر ويقهر آخرون مثل ذلك عن نساء الموريكيس والكواي موراس

وذكر ارفن ان نساء الانتيل يقرسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد قامى كولبوس الامرين من باس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتنافلون اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط متزا ملك الاوغندا فعنده نساء من الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الغراتوتو الافريقيات مع الرجال في الحرب

وفي الداومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احدهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والاخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضعن لنظامات حربية شديدة ويتعردن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق ويجبرن على مقاساة الآلام صابرات ويتميزن بالسجاعة والبأس فاذا ايسر اليهن الملك اتقمن الاخطار وخضن الغمرات وقد شاهد احد رؤساء المبشرين سنة ١٨٦١ مشهداً ملاً دهشة وانجذاباً فقد امر الملك النساء الامازونيات ان يتقمن حواجز علوها متران وعرضها ستة امتار وكانت الحواجز من النباتات الشائكة يؤلم لسمها فتشمت سوق المقاتلات العارية غير انهن ثبتن اى ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهد حتى اعيث فوقفن منهوكات بانسات ولكن الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن نياراً كبريالياً فعاودن المحجوم رسالة نادرة حتى ظفرون بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم يزي الرجال واهلن في المعارك بلا حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحاديهن الركبان وتقرود منهن الانسة برستاقو بتو بالبأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعظم الرجال ان صيد الحيوانات الكلدرة ليس اقل خطراً من خوض الممارك ونساء التار الصينيات يصحن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة والذئاب والحمازير البرية غير عابثات بما في ذلك من المهالك

ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلموا معنا باستطاعة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الخاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة فني وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تغل عنه جلدًا وافدامًا لولا ان ذلك يعوتها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجفنين . — كتبت الوفا من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشبيبة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينشبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطًا لصورة المرأة في عصر او عصور سائلة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادى احساسًا وارق شعورًا من الرجل وممن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كوت فقال « تؤثر المثيرات الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة » وقد يرهن على ذلك علمنا نغفر من الكتاب وترى انفعالها واضحا في جميع الصروف فانها تنطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنفذ لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طورًا ارق وطورًا اقصى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لاختلافاتها فالخزن يعقب السرور والبشر ينلوا الامسي كما تنو الى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامتها الفواعل تركت فيها اثرًا يصعب زواله فتري عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا النفسية

الحب ريجان حياة الرجل غيراته حياة المرأة ذاتها ولكن لا تفعل العواطف سيف الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لا كوردير في كتاب بحث به الى احدى صديقاته « يتخطى من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحبون ايضا بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل »

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعززون اليها نقصًا ينشأ في شواعرها كافة وبصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الدمار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرة على اشد هما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغابتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال محمولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تنقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بيتها لتقتلهم الاولون

ينكرون عليها حق الحكم لأنها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرفاء.
ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك على مقدمات أخرى فهم يقولون
ان اخلاص المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي

تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تدبئك ان هذه الخواص ليست جنسية
وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه
الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هيرت سينسر ان المرأة تفوق الرجل قوة في البلاد التي يمثل اهلها بالامسرى
وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه ويقول ما كسب دعي كامب
ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القوة يتلأأ الخائن الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة على الرحالين
واظهروا لهم ضروب اللطف والرفقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفنستون
وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين
ثورة الرجل فدخل بعضهن في صفوف الثوار لا ينسينا بنات جنهن ممن بعثن السكينة
سيف النفوس تحفظ لمن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة — رقة شعور المرأة جعلتها متدبنة في جميع العصور والشعوب وهي
امسرع تلبية لدعاة المذاهب فيجد هو لا بين النساء مؤنسات مخلصات كان لمن في ثبات
الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة — تقدم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية غامضة فهي لا
تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابدني
وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعقد باله اهل وهي
تنوقع منه المكافأة على ما تجشمه من المصائب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين
لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايمان لانه
يقول باله قادر يحبها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتل اليه في التوازل الشداد
فيغترق الفطائل المطيقة بها نور رجاء ينضربه عيشها وكما قلت مطالبتها في نحياسة زادت
استمساكاً بهل الدين وكثيراً ما تنشأها اضطرابات دينية نذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العقلية والتفوق فهي تتلف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمشي آمالها بجنان مستبلة تحو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الغنان والأمل المتلائي

وعلى انان نفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والثقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم المعجز المعبود واجدات في الصلاة غبطة ونعياً ومن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهم الى اخوانهم في ريعان الصبا وكما تعمق الهاشون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها متباعدة عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بمجل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار. صفات المرأة افادتها اباحا حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوفاء من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل ؟ — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس على انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكينزا ومن تابعه ويطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نشأ تناقضهم عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة وما لا ريب فيه ان البيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتحضرين وهو لا متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن القوا الرفاهية واناقة العيش بشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى علمنا ذلك لم يسعنا ان نغزو التفارث في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

فلما ان بين العلماء اختلافاً كبيراً على ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك بشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفند المعارضون حججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارق الرجال

أما شدة احساسها بالآلم فيفسر كثرة الآلام التي تشبهاها ويقول ما تشكيزا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل ويذهب مرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فتذري العبرات عند اقل طاري وتبدو على مجيهاها علام الآلم غير ان مظاهر الآلم ليست هي ذاته وللترية ونسق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصيا فيجلدن على احتمال المصائب والايوجاع ويتصلبن على لقاء الخطوب ويقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال . — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لتسقي معيشة المرأة اثرآ في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية واقتصادها على انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان « نتمو العواطف الرقيقة حيث يضعف النشاط » على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشئ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضا للانفعالات التي نؤكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر على حياتهن المعنوية فكما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال استبحار العمران واتقاسار التمدن يختلفان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجى ان يقويا على هاتيك الاوجاع حتى بلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وسيكون لها الى الابد شأن

الحب والجمال المعنوي . — ان ما تخسره المرأة ماديا ترجحه معنويا وهذه الامومة تكبدها آلام لا تطاق الا انها تحبونها ارقى الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والخنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وهنايتها به يرتقي شعورها بالحبوة والعطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجالة لاحد له لقر به عين الانسانية ويفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيرمي على كياننا آثارا لا تمحى . ولا

يضمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يجعلها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تغامر بوظيفتها الاجتماعية فان الامة هي مصدر الفضائل والمحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني. وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليوأها في الحياة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته إذا أعيا تكافل الجفنين دون مساواتها في العظمة واشتراكها في مقاساة الآلام

كذب المرأة — نتمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للراقي انها المميزات الفارقة بين الجفنين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نصيراً زاهراً يشتهوي العيون مرآة والآخر ذوايا جافاً ينبوعه البصر على اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة ثلاثت الفروع القابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأي من يأخذ على المرأة اعتلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاعها الى ادناها فاذا قصي على الضعيف ان يتنازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكما تخرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول صبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمتشرعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حتى الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياءها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها نفس نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر ينحل في حياة الرجل وفي وسه ان يظهر ذلك العنصر او يفسد

نفت في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مهلكة واضطرت ان تصنع لتستر الطوارعي التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغواءه بهرجتها فتزيت وتبرجت وتخبرت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان سكتم هواطفتها والنظاير بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة ولثالك اذا

استغرق الألم وجودها والتفت من الرجل ان يحميها لانها رأتها يميل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة التقدر والتبيز باعمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينصكر الصفات التي افادها لباها وازال الافك بعث كل العث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بفاقده هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداهج أفلا تجرم مداجناتها على الهيئة الاجتماعية ما يجرم بهتان الرجل من الويلات فما يستم وجودنا من الشواهر الكاذبة ويباعد بيننا وبين الغبطة بظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المصلح سوى اكدوبة هائلة نفذت الى جميع الفجائر فن التهديب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادئ الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم فتولد تلك الآفة الهائلة ففسدت البيئة التي نعيش فيها وهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول — ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجوب المساواة وكلما القربقين فازع الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاعروا بذلك غير نجلين وقد اقترت الانسانية على الهذيان والادبيات فبينما ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بحجة القريب نجد المندسين يتنازعون ويتقارعون والشعوب تنطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاعها الى ادناها مدعومة بالافك والتزوير وهو لاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء ويرتقون المناصب على سلم من المزايعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصلح لمناخضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة سببه دورها على اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقصرت على الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي فيزيها في عيونه وداعة الرفاء ويحببه اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدعوة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بحجته وصيانة للنوع الانساني فلم يكفها في ذلك جمالها وورقتها بل سمعت الى استرضائه فغالبت فطرتها وتوسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبرج والدل بل اتخذت مظهراً معنوياً ملائماً لميوله فتأصل حب الاسترخاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فاهته رياه الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالة ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة الجحالة قديرة على كتمان عواطفها انظارها بالابتسام والعاصفة ثور في داخلها لتلقي على نفسها ستاراً وخادعت شريكها بقولها وحر كاتها وابساماتها فيهرن ذلك على انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي تأفك لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها لماساها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابثة بما يسودها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرق المعنوي فلما زالت العسروف التي تبدل من وجدانها تشطت للحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية وبكفي لحور تأثير عشرين قرناً عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها اسم، وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استغرق في سبيل الاسلاف وازاف الى النقايس الموروثة ما انتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرورها تئمش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصديق احدي صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركمة عصور العبودية وعلى هذا المتوال يتغير مجموع الصفات الانثوية لان نفوسنا تكيف على ما بلائهم شروط البيئة فلم يخاف الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مازج البهتان حياتنا لم يكن الاعقبى الصلات التي ربطت الجنسين

بعض المميزات - انتهت في المرأة خاصتنا الفهم والملاحظة لتستكشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكسيت من يثبتها فضائل خاصة كما استفاضت نقائص خاصة واصبحت قادرة على التخلص من المآرق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظان الضعف فيها فعرفت كيف تلتطف بكلماتها العذبة الآمنة وتهمج اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثرأ واشد فعلاً واستطاعت شتص شخصيتها ان تمتزج بشخصية الرجل اذ لا يمننا من الاتقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا على الذات اما المرأة ففقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهرى لسعادتنا وشقاؤنا ثم ان نفسها الساكنة جعلتها يسر انفعالا خفيا وبفضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لا بد ان تخف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الهم ذلك الشعور المهم العقيم ووجدت من تهذيبها ما ينزع بها هذا المتزع فولت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحيا لتحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص الغرامية فاصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا ينضب غير ان انصرفت الى القصص اضعف فيها ملكة الذكاء

التصورات الخبيثة . - مالت الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعا في نفس المرأة فصيح الحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديدة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالاوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخا ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازئا بما ندعيه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكواكن المخطئة فلا يبعد عن الحقيقة وما نحن ذا نرى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا على مذهبه اعظم الضحايا

حياة المرأة الضيقة الحدود القليلة الواجبات جعلتها تنألم لادنى مظاهر الحياة ومضى رأينا شدة حب المرأة وكرها حكمة ان العاطفتين اقوى فيهما هما في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البريقيل للرائي انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وجوه الشبه بين نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة والطفل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا وينحط عنه في غيرها شأن المرأة فركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة واقتدها اكثر منها اطاعت الرجل واصبحت مصدر افراحه ومسراته فلم تقو على مضارعة في الفكر والتفكير

خواص تقرّبها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تسقط في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نمو احد ذهناً وافر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النسب وهو على الاطلاق اظهر منه قلباً واقل اهتماماً.

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعماق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأةزاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها من استعادة مركزها واقل تقدير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعها.

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اهـ عرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد



ابن زيدون^(١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون الخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ - ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطف بها لما كان في اعتقاله (٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابتاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبها ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها عن لسان ولادة بنت المستكفي الالهية الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن